لحن الخلود

ارتفعي يا نفسي فوق نفسك
فها هي تجربة إيمانك
فلا تجعلي الزنديق يقول في محنتك الأخيرة « إنها ترتعد مثلنا »
فها هي الساعة التي تحاكم الحياة وتعلن الخلود !

* * *

نعم إنك ستموتين
ولسوف يطبق التراب تابوته القاسي على رمتك
وعندئذ لن تعمري بثقل الرحل الذي كان يدنسك
لأن الاحساس بوطأة هذا الرحل القذر كان معناه الحياة !

* * *

ماذا كانت حياتك . . . . ؟
منقى ضجر وعذاب
وضحية الأمل
كانت ترنيمة إيمان طويلة تُتلى كل يوم
وحين كان المعتوه يصب من كأسه المترعة
كنت تسكبين قدحك على قدميك مضحية
وتصرخين قائلة « إني ظمأى . . . ولكن الخلود »
لا تحزني فستشربين من النبع الخالد
الذي تسيل منه الأحقاب والدهور
ذلك المحيط بلا ضفاف وبلا شواطىء
المملوء دائماً . . الزاخر ابداً

* * *

سوف ترين الجحافل السماوية
وهي تعبد ذلك الفضاء اللانهائي
كغبار تحركه نفحة إلاهية

اما النفوس الخاوية
التي كانت جفونك تنشأ بنورها البعيد
فستتفتّح أمام عينيك
وستحييك كل واحدة منها وهي مارة بك
بالاسم العظيم الذي تمزجه السموات كلها . . .

* * *

في هذا الهبوط النقي من الحياة
الزاخر بالسعادة والحب
سيدفعك الموت
ثم يذهب بك مدّه
وانت ما زلت مظلمة . . . الى الفجر المرمدي
حيث الكوكب الساطع ابداً

* * *

ألا ترين في الظلام ذيول الشرر المتموّج ؟
أولا تسمعين اصطفاق أجنحة الروح التي سوف تناديك ؟
بعد هنيهة ستنجحين من غيمة الى أخرى
وستحسّين نفسك مكسوةً بشعاع مقامك الاطهر
كوردة تتبختر مُنتشيةً وهي منجذبة نحو الفجر
عن دفء اليوم الذي سيولد وضيائه . . .

* * *

ساعة أخرى من الالم
ووداع آخر لاعج
ثم تهجعين آملة للتيقظ في إلآهك
كالبحّار للمتمدد على لجمه .
يطوي شراعه وقد أحسّ البابسة دون ازورارها
فينام وهو يحلم بالضفاف
ثم يستيقظ فيجد نفسه على
شطآن أكثر صفاء مما كان يصبو . . .